Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ولما رجع ابن عباد إلى إشبيلية جلس للناس ، وهُنِّئَ بالفتح ، وقرأتْ القرّاء ، وقام على رأسه الشعراء فأنشدوه ، قال عبد الجليل بن وهبون : حضرت ذلك اليوم ، وأعددتُ قصيدة أنشدها بين يديه ، فقرأ القارئ « إلا تَنْصروهُ فقد نصره الله »(١١) ، فقلت : بُعْدًا لى ولشعرى ، والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به » .

لكن ابن تاشفين لأسباب سياسية إرتآها ، وليس هنا موضع مناقشتها ، قرر أن يزيح أمراء الطوائف عن عروشهم ، وبدأ بالمعتمد لأنه أعظمهم وأقواهم ، ولقرب عاصمته من عدوة المغرب ، وسهولة الوصول إليها إبحارًا ، ودافع المعتمد وبنيه عن ملكه ، وترامى على الموت بنفسه ، غير أن ذلك لم يجده نفعًا ، وخرج الناس من منازلهم ، وقد شُنَّتْ الغارة عليهم ، « يسترون عوراتهم بأناملهم ، وكُشفَتْ وجوه المخدرات العذارى ، ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى ، ورُحل بالمعتمد وآله ، بعد استئصال جميع ماله ، لم يصحب معه بُلْغة زاد ، ولا بقيّة مراد » .

وأدرك المعتمد واعيًا أن دولتهم انهارت ، وملكهم تلاشى ، وبدأ شاعرًا يرثى ، ولا أقول يبكى ، مجدًا ضائعًا ، فى أبيات شرقتْ وغرّبت ، لأنها تصوّر المثل الأعلى فى حياة العربى ، أميرًا على عرش ، أو راعيًا وراء قطيع : السمّ ألذ مذاقا من الخضوع ، والشرف الرفيع لا يُسلب ، لم يتخلّف عن القتال ، ولا ضنّ بنفسه عن الاستشهاد ، ولئن عاش بعده فلئن له عمرًا لم ينقض ، فما سار يومًا إلى معركة وأمّل أن يعود منها حيًا ، تلك هى أخلاقه ، وهى أخلاق أهله من قبل :

لمَّا تماسكتِ الدموعْ وتنبَّه القلبُ الصديعْ
وتناكرتْ همَمى لما يستامُها الخطبُ الفظيعْ
قالوا الخضوعَ سياسةٌ فليبْدُ منك لهم خضوع
وألذُّ من طعمِ الخضو عِ على فمى السمُّ النقيع
إنْ تَسْتلبْ عنى الدُنا ملكى وتُسْلمُنى الجموع

---

(١١) سورة التوبة ، الآية ٤٠